قوطر

النقب، فلسطين، ٢٠٠٢-٠٣
٤٤ صورة في سلسلة الصور الفوتوغرافية
٣٩،٥ × ٥٩ سم؛ ٥٩ × ٣٩،٥ سم
طباعة حجرية (خرومو) ملونة وطباعة أسود وأبيض جلاتين الفضة

يجب تحويل البدو إلى عمّال مدنيين في الصناعة والخدمات والبناء والزراعة. إن ٨٨٪ من السكان الإسرائيليين ليسوا مزارعين، فليصبح البدو مثلهم. في الواقع، هذا التحول سوف يكون جذرياً، وسيكون معناه أن البدوي لن يعيش على أرضه ومع قطعانه، ولكنه سيتحول إلى شخص مدني يعود إلى بيته في المساء ويرتدي نعله البيتي (...). وسيذهب أولاده إلى المدرسة وشعورهم ممشطة ومرتبة. هذا سيكون ثورة، قد تحتاج إلى جيلين لتتحقق، وستختفي ظاهرة البدو عن الوجود، دون إكراه بل بتوجيه من الحكومة.
موشي ديان، ١٩٦٣/٧/٣١

منذ منتصف الستينيات، يتعرّض الفلسطينيون ذوو الأصول البدوية، الذين يسكنون صحراء النقب، إلى سياسة نزع ملكية أراضيهم التقليدية وتوطينهم مجدداً في سبع بلدات تم التخطيط لها من قبل حكومة إسرائيل، وإلى حد كبير، بدون استشارة السكان المتضررين. بينما أصبحت أراضيهم المصادرة متاحة لاستخدام المواطنين اليهود فقط.

في العام ٢٠٠٣، طبقاً للإحصاءات الرسمية، فإن زهاء نصف الـ ١١٠ آلاف فلسطيني بدوي في النقب يعيشون في هذه البلدات المخططة للتوطين، وهم من الأفقر من بين كل الفئات التي يتشكل منها المواطنون في إسرائيل، فهم يفتقرون إلى جميع الخدمات العامة الملائمة، ويعانون من ارتفاع معدلات البطالة والإجرام، مع عدم وجود بصيص ضوء للتنمية والتطوير.

أما النصف المتبقي من سكان النقب الفلسطينيين، فقد رفض الانتقال إلى هذه البلدات، لتجنب فقدان أراضيهم، والتعرض لحياة ذات ظروف معيشية يعتبرونها مخالفة ثقافياً، ومُذِلَّة اجتماعياً. ويعيش هؤلاء في أكثر من ١٠٠ قرية «غير معترف بها»، حيث تمنعهم قوانين الدولة اليهودية من تشييد بنى دائمة، ويتم نسف البيوت، حسب قوانين البلد المعمول بها، بشكل منتظم، كما عُدَّت حقولهم غير قانونية، مع قيام السلطات برشها بالمواد الكيماوية السامّة، وطرد العائلات من ديارها، بينما لا تتوفر للسكان الكهرباء، أو الماء الصالح للشرب، أو المياه الجارية، أو الخدمات العامة كالصرف الصحي، أو الخدمات الصحية والرعاية، أو التعليم ما بعد المرحلة الابتدائية. وللآن، هذا الوضع لم يتغير كثيراً.

العنوان *قوطر* يشير إلى موقع الفلسطينيين ذوي الأصول البدوية الرازحين تحت سلطة الدولة الإسرائيلية: حيث يوجد مبنى (House) لا يوجد بيت (Home)، وحيث يوجد بيت (Home) لا يوجد مبنى (House).

كلمة «قوطر» دخيلة على اللغة العربية وغريبة عنها، وهي مصطلح شائع يستخدمه الفلسطينيون في صحراء النقب. وطبقاً لأهل المنطقة، هو مستمد من فعل الأمر «Go there!» بالإنكليزية، الذي يعني «اذهب إلى هناك». وكان البدو الفلسطينيون يسمعونه من أفراد الجيش الإنجليزي أثناء الانتداب البريطاني (١٩١٧-١٩٤٨).